عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ:

١ «إِنَّ اللهَ - عزَّ وجلَّ - لَا يَنَامُ،

٢ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ،

٣ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ،

٤ يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ،

٥ حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةٍ: النَّارُ -

٦ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»[٨١].

(٨١) رواه مسلم (١٧٩).

آيات

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [النور: ٣٥].

﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢].

الراوي

أبو موسى، عبدُ الله بن قَيس بن سليم بن حُضَّار بن حرب بن عامر بن الأشعر، الأشعريُّ، الإمام الكبير، الفقيه، صاحب رسول الله ﷺ، ذو الهجرتَين: هجرة الحبشة والمدينة، تولَّى البصرةَ في زمان عمر، فعلَّم أهلَها وفقَّههم في الدين، وأقرأَهُم القرآن، وكان أحسنَ الصحابة صوتًا بالقرآن. تُوفِّي سنةَ: (٥٠هـ)[١].

خلاصة

يخبر النبيُّ ﷺ أصحابَه بعضًا من صفات الله عزَّ وجل، فمنها أنَّه لا ينام، ويمتنع النوم في حقه عزَّ وجل لأن النوم صفة نقص، والله منزه عن كل نقص، يقبل الأعمال الصالحة فيرفعها إليه ويرد غيرها، وترفع الملائكةُ إليه عملَ الليل قبل الشروع في عمل النهار، وعملَ النهارِ قبل الليل، وأنَّ حجابه دون خلقه من النور -أو من النار-، لو أسقط ذلك الحجاب لأحرقت أنوار وجهه جميع الخلق.

(١) تُراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة لأبي نعيم» (٤/ ١٧٤٩)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر» (٤/ ١٧٦٢)، «أسد الغابة لابن الأثير» (٥/ ٣٠٦).

يخبر ﷺ عن بعض صفاتِ الله تعالى الحُسْنى، فذكر منها خمسَ جُمَلٍ، وهي:

١ أنه سبحانه لا ينام؛ فإنَّ النومَ نقصٌ، والله سبحانه لا يُنسب إليه النقصُ ولا يعتريه، فالمخلوقُ يحتاج إلى النومِ لما أصابه من التعب والإرهاق، والله سبحانه غنيٌّ عن ذلك، خلق السموات والأرض جميعًا وما أصابه تعبٌ أو إرهاق. ولهذا قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢ ثمَّ أكَّد ﷺ تلك الصفة، فأخبر أنه يستحيل عليه النوم، فأفادت الجملة الأولى عدم حدوث النوم عليه، وأفادت تلك أنه يستحيل عليه ذلك أصلًا(٨٢).

وإنما يستحيل عليه النومُ لأنَّ النومَ غفلةٌ تتنافى مع معيته وإحاطته بجميع المخلوقات وإمساكه السموات بيده، فلو نامَ لسقطت السماءُ على الأرض ولاختلَّ نظام الكون.

٣ ثم أخبر عن صفةٍ أخرى، وهي أنه سبحانه يزن الأعمال المرتفعة إليه بالعدل، فيرفعُ الأعمال الصالحةَ ويردُّ غيرها، قال سبحانه: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

٤ ثم بيَّن أنه سبحانه يُرفع إليه أعمالُ العباد جميعًا كلَّ يومٍ، فترفع الملائكةُ الموكَّلون بكتابة الأعمالِ أعمالَ العبادِ في النهار إلى الله عز وجل قبل أن يأتي الليل، وترفعُ إليه عملَ الليل قبل أن يأتي النهار، دون تأخيرٍ أو توانٍ، قَالَ ﷺ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاةِ الفَجْرِ وَصَلاةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»(٨٣).

٥ ثم ذكر أنَّ الله تعالى مستترٌ عن خلقه بحجابٍ من النور، وفي رواية: من النار؛ فإنه سبحانه: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ولا تعارض بين روايتي النور والنار؛ لأن النار تتضمن صفتين: الإشراق والإحراق، فمن الممكن أن يكون الله تعالى سلبها صفة الإحراق وأبقى فيها صفة الإشراق، بخلاف نار جهنم؛ فإنها نارٌ مُحرقة ولا نور فيها، وبخلاف سائر أنوار الدنيا من الشمس والمصابيح؛ فإنها نورٌ وإحراقٌ معًا(٨٤).

---

(٨٢) «كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه» للسنديِّ (١/ ٨٥).

(٨٣) رواه البخاريُّ (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).

(٨٤) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٦/ ٣٨٧).

٦ ولو كشف اللهُ ذلك الحجاب لأحرقَ **جمالُ وجهه وبهاؤه وضياؤه** كلَّ ما أدركه سبحانه ببصره، وهو سبحانه مطلع على جميع الخلق، ومقتضى ذلك أن يحرق به جميع الخلق؛ فإنه سبحانه لمَّا تجلَّى للجبل لم يستطع الجبل -وهو الجماد الصُّلب- أن يحتمل ذلك، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فكيف إذا تجلى للإنسان.

١ ذكر في الحديث بعض صفات الله تعالى، وصفاتُه جلَّ وعلا من الأمور الغيبية التوقيفية التي لا سبيل إلى معرفتها إلا بالوحي، فيجب الإيمان بما أتى به من تلك الصفات العُلا من غير تفويضٍ أو تشبيهٍ أو تعطيل؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٢ صفات الله تعالى منها ما هو ثبوتيٌّ -أي ثابته في حقه تعالى- كالعلم والحياة والاستواء والسمع والبصر وغيرها؛ فهذه يجب فيها الإيمان والإثبات على الوجه اللائق به سبحانه. ومنها ما هو سلبيٌّ يقتضي نفيها كالنوم والموت والظلم والعجز ونحو ذلك، فلا بد من نفيها عنه سبحانه مع إثبات ضدِّها على الوجه الأكمل، فنُثبت له الحياة والقيومية والعدل والقدرة وغير ذلك من أضداد الصفات السلبية.

٣ على المسلم إذا علم أن الله لا ينام وأنه محيط بكل شيء، أن يستحي أن ينظر الله تعالى إليه فيراه على معصية.

٤ على المسلم أن يبادر في استثمار أوقاته، واستغلال ليله ونهاره في عمل الصالحات قَالَ دَاوُدُ الطَّائِيُّ -رحمه الله-: إنّما اللّيل والنّهار مراحلُ ينزلها النّاس مرحلةً مرحلةً حتّى ينتهيَ ذلك بهم إلى آخِر سَفَرهم، فإن استطعتَ أن تقدِّم في كلِّ مرحلة زادًا لما بين يديها، فافعل؛ فإنّ انقطاع السَّفَر عن قريب ما هو، والأمر أعجل من ذلك، فتزوَّدْ لسفرك، واقض ما أنت قاضٍ من أمرك، فكأنّك بالأمر قد بَغتُّكَ (٨٥).

٥ على العبد أن يُسارع في التوبة، ويبادر إلى الاستغفار مما وقع منه من الزلّات قبل أن تُرفع الأعمالُ إلى الله سبحانه.

٦ إذا علم العبدُ أنَّ الله تعالى لا يغفل عنه شيئًا وأنه يدبر أمره ويسمع دعاءه ويرى حاله، أدرك أنَّه سبحانه لن يظلمه أو يتركه هَمْلًا، فيرتاح خاطره ويطمئن قلبه.

(٨٥) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٣٨٢).

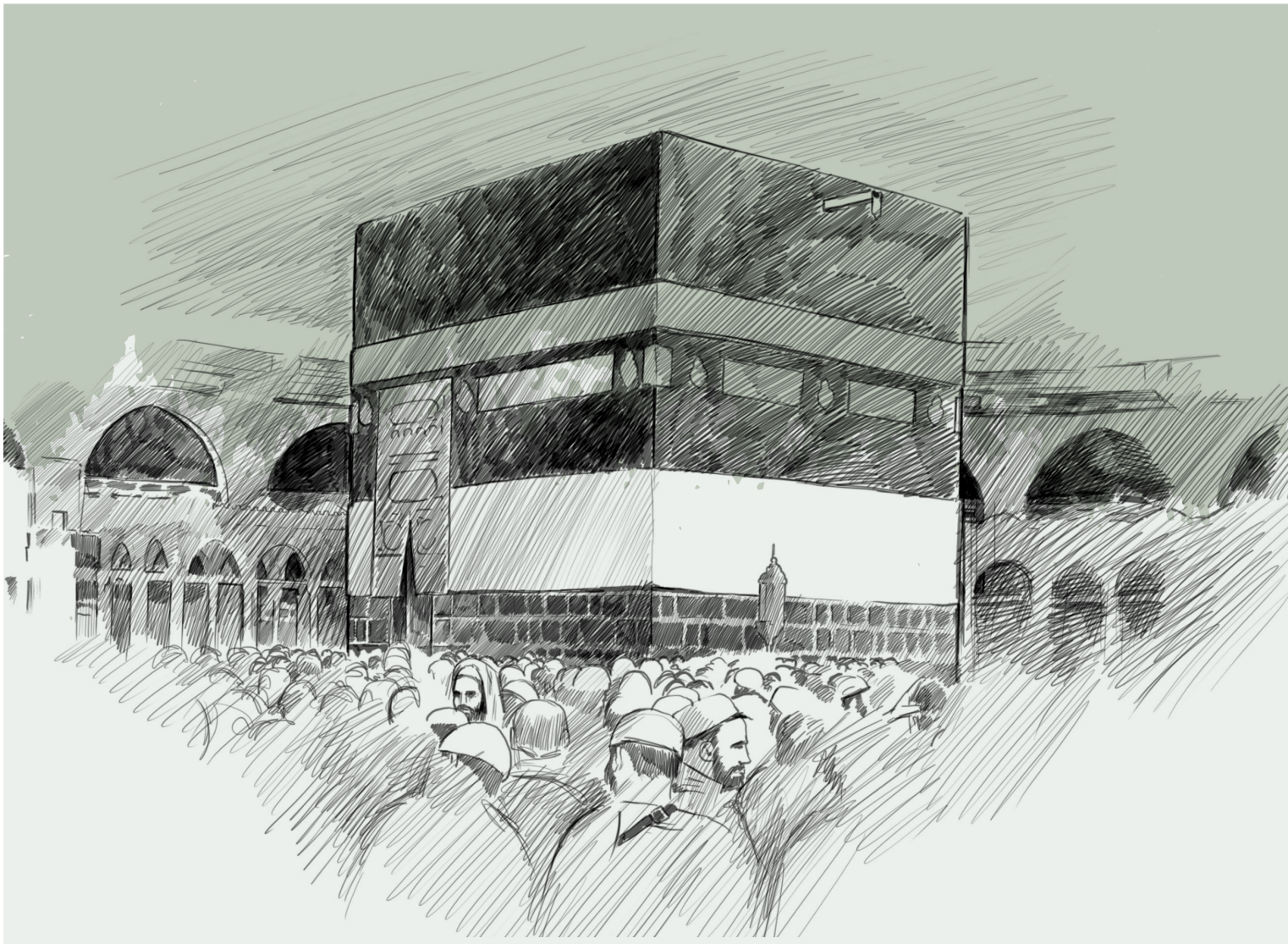

قال الشاعر:

سُبْحَانَ مَن ملأَ الوجودَ أدلَّةً ... ليلُوحَ ما أخفَى بما أَبْدَاهُ

سُبحانَ مَنْ أحْيَا قلوبَ عبادِهِ ... بلوائحٍ من فَيْضِ نورِ هُداهُ

هَلْ بعدَ معرفةِ الإلَهِ زيادةٌ ... إلَّا استدامةُ ما يُديمُ رِضَاهُ

واللهِ لا آوي لغَيْرِك إنَّه ... حُرِمَ الهُدَى مَنْ لم تكنْ مأْوَاه